الجريئة . ونظارة المسرح الذين يعاصرون امكانات الزمن اللامحدودة المتاحة للكثيرين ، ان لم نقل للجميع ، ويرون ارتقاء وسقوط الشجعان المغامرين ، كانوا يريدون من المسرح ان يتلاءم مع شعور الحياة المختلج في نفوسهم . واستجاب المسرح لارادتهم هذه ، فكانت مغامرات الشباب الذين يتجاوزون جميع العقبات من أجل الالتقاء بالمحبوبة أوالرجال الذين تدفعهم الشهوة الجامحة الى الثروة والسلطة حتى الى ارتكاب الجريمة ، الموضوع الغالب في مسرحيات ذلك الزمن .

وهكذا قدم المسرح التسلية عن طريق عرضه الكثير من القصص المشوقة واعطى المعرفة بتصويره احداث الماضي الحقيقية واغنى العقل والمشاعر بكشفه عن تعقد الحياة والطبيعة الانسانية .

لقد كانت بعض جوانب هذا المسرح بسيطة الى أبعد حدود البساطة فخشبته ساحة خالية من الديكورات المعقدة ، اذ يكفي وجود سرير لتحويلها الى غرفة نوم أووجودعرش لتحويلها الى قصر ملكي . ومن أجل تصوير ملكة كان يكفي أن يخرج اربعة ممثلين يحملون السيف والترس . غير أن البدائية النسبية في الوسائل الظاهرية لم تمنع المسرح من أن يصبح مكان ابداع أعظم المسرحيات في تاريخ العالم .

ان فن شكسبير المسرحي يمتاز جوهريا عن فن اساتذة المسرح الذين وجدوا تحت تصرفهم مسارح غنية بالديكور والوسائل الأخرى التي تمكنهم من تصوير عصر الحدث ومكانه تصويرا دقيقا . وقد سد شكسبير هذا النقص في الوسائل الخارجية بالوصف الشعري على لسان شخوصه . وكان شكسبير يمتلك سحر الكلمة . فبضعة عبارات قصيرة يتبادلها الحراس في المشهد الأول من « هاملت » تخلق عند المشاهد احساسا بحلول ليلة مشحونة بالقلق ، وفي « الملك لير » تخلق كلمات الملك العجوز في السهب احساسا بهبوب العاصفة .

المسرحية التاريخية :

ولكن عبقرية شكسبير لاتنحصر في قدرته على ارغامنا على احساس جو الحدث الخارجي وطبيعته بقدر ماتنحصر في كيفية كشفه عن تعقد التصادمات الحياتية والطبائع البشرية .

ان شكسبير لم يتملك هذه المهارة دفعة واحدة . انه يصور لنا في مسرحياته التاريخية المبكرة — « هنري السادس » و « ريتشارد الثالث » و « الملك جون » كثيرا من الأحداث